

تفسير ابن كثير

وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

قال البخاري : حدثنا إسحاق ، أخبرنا النضر ، أخبرنا شعبة عن سليمان قال : سمعت أبا وائل ، عن حذيفة : (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) قال : نزلت في النفقة . ورواه ابن أبي حاتم ، عن الحسن بن محمد بن الصباح ، عن أبي معاوية عن الأعمش ، به مثله . قال : وروي عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، ومقاتل بن حيان ، نحو ذلك . وقال الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أسلم أبي عمران قال : حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه ، ومعنا أبو أيوب الأنصاري ، فقال ناس : ألقى بيده إلى التهلكة . فقال أبو أيوب : نحن أعلم بهذه الآية ، إنما نزلت فينا ، صحبتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدنا معه المشاهد ونصرناه ، فلما فشا الإسلام وظهر ، اجتمعنا معشر الأنصار نجيا ، فقلنا : قد أكرمنا الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصره ، حتى فشا الإسلام وكثر أهله ، وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال

والأولاد ، وقد وضعت الحرب أوزارها ، فراجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهما . فنزل
فينا : (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) فكانت التهلكة [في]
الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد . رواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وعبد بن
حميد في تفسيره ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير وابن مردويه ، والحافظ أبو يعلى في مسنده
، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم في مستدركه ، كلهم من حديث يزيد بن أبي حبيب
، به . وقال الترمذي : حسن صحيح غريب . وقال الحاكم : على شرط الشيخين ، ولم
يخرجاه . ولفظ أبي داود عن أسلم أبي عمران : كنا بالقسطنطينية وعلى أهل مصر عقبة
بن عامر وعلى أهل الشام رجل ، يريد فضالة بن عبيد فخرج من المدينة صف عظيم من
الروم ، فصففنا لهم فحمل رجل من المسلمين على الروم حتى دخل فيهم : ثم خرج
إلينا فصاح الناس إليه فقالوا : سبحان الله ، ألقى بيده إلى التهلكة . فقال أبو أيوب : يا أيها
الناس ، إنكم لتأولون هذه الآية على غير التأويل ، وإنما نزلت فينا معشر الأنصار ، وإنا
لما أعز الله دينه ، وكثر ناصره قلنا فيما بيننا : لو أقبلنا على أموالنا فأصلحناها . فأنزل الله
هذه الآية . وقال أبو بكر بن عياش ، عن أبي إسحاق السبيعي قال : قال رجل للبراء بن

عازب : إن حملت على العدو وحدي فقتلوني أكنت ألقى بيدي إلى التهلكة ؟ قال : لا .

قال الله لرسوله : (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك) [النساء : 84] ، إنما هذا

في النفقة . رواه ابن مردويه وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث إسرائيل ، عن

أبي إسحاق ، به . وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه . ورواه الثوري ، وقيس

بن الربيع ، عن أبي إسحاق ، عن البراء فذكره . وقال بعد قوله : (لا تكلف إلا نفسك)

ولكن التهلكة أن يذنب الرجل الذنب ، فيلقي يده إلى التهلكة ولا يتوب . وقال ابن أبي

حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثني الليث ، حدثنا عبد الرحمن بن

خالد بن مسافر ، عن ابن شهاب ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : أن

عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث أخبره : أنهم حاصروا دمشق ، فانطلق رجل من أزد

شنوءة ، فأسرع إلى العدو وحده ليستقبل ، فعاب ذلك عليه المسلمون ورفعوا حديثه إلى

عمرو بن العاص ، فأرسل إليه عمرو فردده ، وقال عمرو : قال الله : (ولا تلقوا بأيديكم

إلى التهلكة) وقال عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : (

وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) ليس ذلك في القتال ، إنما هو في

النفقة أن تمسك بيدك عن النفقة في سبيل الله . ولا تلق بيدك إلى التهلكة . وقال حماد بن سلمة ، عن داود ، عن الشعبي ، عن الضحاك بن أبي جبيرة قال : كانت الأنصار يتصدقون وينفقون من أموالهم ، فأصابته سنة ، فأمسكوا عن النفقة في سبيل الله فنزلت : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) وقال الحسن البصري : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) قال : هو البخل . وقال سماك بن حرب ، عن النعمان بن بشير في قوله : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) أن يذنب الرجل الذنب ، فيقول : لا يغفر لي ، فأنزل الله : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) رواه ابن مردويه . وقال ابن أبي حاتم : وروي عن عبيدة السلماني ، والحسن ، وابن سيرين ، وأبي قلابة نحو ذلك . يعني : نحو قول النعمان بن بشير : إنها في الرجل يذنب الذنب فيعتقد أنه لا يغفر له ، فيلقي يده إلى التهلكة ، أي : يستكثر من الذنوب فيهلك . ولهذا روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : التهلكة : عذاب الله . وقال ابن أبي حاتم وابن جرير جميعا : حدثنا يونس ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني أبو صخر ، عن القرظي : أنه كان يقول في هذه الآية : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) قال : كان القوم في سبيل الله ، فيتزود الرجل . فكان أفضل

زادا من الآخر ، أنفق البائس من زاده ، حتى لا يبقى من زاده شيء ، أحب أن يواسي صاحبه ، فأنزل الله : (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) . وقال ابن وهب أيضا : أخبرني عبد الله بن عياش عن زيد بن أسلم في قول الله : (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) وذلك أن رجلا كانوا يخرجون في بعوث يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بغير نفقة ، فإما يقطع بهم ، وإما كانوا عيالا فأمرهم الله أن يستنفقوا مما رزقهم الله ، ولا يلقوا بأيديهم إلى التهلكة ، والتهلكة أن يهلك رجال من الجوع أو العطش أو من المشي . وقال لمن بيده فضل : (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) ومضمون الآية : الأمر بالإنفاق في سبيل الله في سائر وجوه القربات ووجوه الطاعات ، وخاصة صرف الأموال في قتال الأعداء ، وبذلها فيما يقوى به المسلمون على عدوهم ، والإخبار عن ترك فعل ذلك بأنه هلاك ودمار إن لزمه واعتاده . ثم عطف بالأمر بالإحسان ، وهو أعلى مقامات الطاعة ، فقال : (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)